المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 07 -- العدد 02 -- ديسمبر 2016 ص 150 - 162

منهج وأبعاد التحقيق عند "أبو القاسم سعد الله" رحلة ابن حمادوش أنموذجا

The method and dimensions of the investigation at "Abu Al-Qasim Saad Allah" Ibn Hammadush trip as a model

د لعوج لصر الدين Dr. Laouedj Lsardine yobi_salah@yahoo.fr	تاريخ حديث و معاصر	جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس - الجزائر

DOI :

ملخص

تأكد تاريخيا حقيقة ثراء كنوز تراث الجزائر المخطوط، ووفرته وتنوع مجالاته، وغنى قيمته الفكرية والحضارية، بالمقابل هناك إجماع على صعوباته بالنظر إلى الظروف التاريخية والثقافية والبشرية التي تعرقل الوصول إليه والعمل على إحيائه، ولهذا كان شيخ المؤرخين "أبو القاسم سعد الله" من بين الباحثين القلائل، الذين رفعوا تحدي تحقيق المخطوط الجزائري، ومن أشهرها: التحقيق الأنموذج وهو: عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، المسمى: "لسان المقال في النبإ عن النسب والحال".

اعتمد " أبو القاسم سعد الله" منهجا علميا ثابتا في تحقيق هذه المخطوطات، قوامه الدقة والموضوعية والأمانة العلمية المرتبطة بالتزام الأخلاق وحسن الخطاب، تحقيق مخطوط قديم من الناحية المنهجية بمثابة عمل فني يقوم على قواعد أساسية ويتطلب مهارة وإخلاصا وتجردا من طرف يد مخلصة وقلم شريف، وقلب مليء بحب الإنسانية، وعمل هادف يخدم مصلحة وطنية وإنسانية، وهو جزء من الجهاد التحرري من الاستعمار. و استهدف " أبو القاسم سعد الله" أبعادا حضارية " مؤكدا عن ما يمثله المعطى الجزائري من أهمية باعتباره جزء من تاريخ وتراث المغرب العربي الكبير خصوصا، والأمة العربية الإسلامية خاصة، والإنسانية عامة، مؤسسا لفكرة الإخاء المغاربي في إطار التعاون والاتحاد والتضامن الشعبي، والتبادل الثقافي ، متأسفا على ضياع تلك المظاهر الوحدوية سواء في السراء أو حتى في الضراء، محملا نفسه قبل بقية المثقفين جزءا من مسؤولية عدم المطالبة بإزالة الحدود الاصطناعية الموروثة، وتثبيت عهد الأخوة المطلقة.

الكلمات المفتاحية: أبو القاسم سعد الله؛ المخطوطات؛ المنهج العلمي؛ الأبعاد الحضارية؛ وحدة المغرب العربي؛

Abstract

The truth about the richness of the treasures of the manuscript heritage of Algeria, its abundance and the diversity of its fields, and the richness of its intellectual and civilizational value have been confirmed historically. Few, who

raised the challenge of achieving the Algerian manuscript, the most famous of which are: The ideal example: Abd al-Razzaq bin Hammadush: "The article in the news about descent and status".

"Abu al-Qasim Saadallah" adopted a consistent scientific method, which is based on accuracy, objectivity and scientific honesty related to the commitment of morals and good speech, achieving an ancient manuscript from a methodological point of view as an artistic work based on basic rules and requires skill, sincerity and impartiality by a sincere hand, and an honorable pen, A heart filled with love for humanity, meaningful work that serves a national and human interest, and is part of the liberation from colonialism.

"Abu al-Qasim Saadallah" targeted "civilizational dimensions," stressing the importance that the Algerian representative represents as part of the history and heritage of the Arab Maghreb, and the Arab-Islamic nation in particular, and humanity in general, as a basis for the idea of brotherhood in the Maghreb within the framework of cooperation, union, popular solidarity, and cultural exchange, Regretted the loss of these monotheistic manifestations, whether in good times or even in bad times, blaming himself before the rest of the intellectuals as part of the responsibility not to demand the removal of the inherited artificial borders, and to establish the era of absolute brotherhood.

Keywords: Abu al-Qasim Saadallah; manuscript; scientific method ; civilizational dimensions; union Arab Maghreb ;

سلام على شيخ المؤرخين الجزائريين في الخالدين، وطيب الله ثراه، وأسكنه فسيح جنانه، كان وسيظل نعم المفكر الرائد للأمة الجزائرية، باعتباره مجددا في زمن الركود الفكري، لم يكتب مجرد مؤلفات في التراث الأدبي والتاريخي والفكري، بل كان يحمل هموم مشروع حضاري، بحرصه الدائم على تنوير الذاكرة الجماعية لما فيه خير صالح القضية الوطنية والمصلحة العامة في إطار مستقبل الأمة العربية الإسلامية.

آمن - رحمه الله- أن التجربة الإنسانية في أوسع معانيها هي حقل المؤرخ، لهذا كان موسوعيا: شاعرا، أديبا، مترجما، مؤرخا، مفكرا، ومحققا ناقدا، حيث اهتم بالتحقيق – الذي يهمنا في هذه المداخلة - في إطار مشروعه الثقافي والحضاري للمجتمع الجزائري، وتأكيد إسهامات الجزائريين في ترقية وتطوير الحضارة الإنسانية، كما آمن بشعار عصره القائل: " في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا"، ولهذا أولى الكثير من اهتماماته للكشف عن نوادر التراث المخطوط الخاص بالجزائر والمغرب العربي خلال القرون الحديثة والمعاصرة، مسترشدا بخصال " الأمير عبد القادر الجزائري" الذي كان يكافئ كل من يأتيه بمخطوط أو وثيقة (1) .

ولهذا وهب – رحمه الله- حياته للدفاع عن التراث الوطني والقومي، وبعثه إلى الحياة متحديا كل الصعوبات من أجل أهداف إنسانية بقوله في تقديم رحلة "ابن حمادوش": «لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة قبل الإقدام عليه لما صدقته، أو لما أقدمت عليه أصلا... يعاني المحققون الكثير، ويربحون القليل، وكل جزائهم فيما يبدو هو رضى النفس والوفاء لصاحب النص، وراحة الأجيال...» (2).

واعتقد – رحمه الله- بفضل إيمانه الراسخ، وتكوينه العربي الإسلامي الأصيل أن إحياء التراث الجزائري وحمايته جهاد آخر أكبر، أولا ضد محاولات الاستعمار وأذنابه مسخ الشخصية الجزائرية بطمس آثار ومعالم الحضارة الأصيلة الوطنية، وثانيا باعتباره مرآة وجود وتقدم الأمم من خلال الكشف عن تراثها الذي ساهمت فيه أجيالها السابقة في الحضارة الإنسانية، وهو ما أكده في موسوعته الثقافية الجزائرية بقوله:

« كان الهدف هو إنتاج عمل يكشف عن مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية والإنسانية عبر العصور، ذلك أن رواد المدرسة الاستعمارية الفرنسة قد بثوا طيلة احتلالهم للجزائر بأنه لم يكن للجزائر ماض سياسي ولا ثقافي» (3).

1- القيمة التاريخية للمخطوط عند أبي القاسم سعد الله

شكل المخطوط عند أبي القاسم سعد الله من حيث قيمته وثيقة تاريخية حية، ودعامة أساسية من دعائم التراث الإنساني، باعتباره يؤكد أصالة التراث الجزائري، ويحقق التواصل بين أسس الأصالة والمعاصرة، بل كان يثبت في أكثر من مناسبة أسبقية الجزائريين على المستوى العربي في عدة مجالات ثقافية كالتأسيس لفنون أدبية مثل الرواية العربية(4)، والتمهيد لجذور فكرة الجامعة الإسلامية (5)، والسبق بتكوين أفكارهم عن الإصلاح، والقومية، والديمقراطية والإسلام في علاقته بالحضارة الحديثة في إطار المقاربة بين الأصالة والمعاصرة، والدعوة لحوار الحضارات (6).

وأجمع الباحثون على حقيقة ثراء كنوز تراث الجزائر المخطوط، ووفرته وتنوع مجالاته، وغنى قيمته الفكرية والحضارية، في الوقت الذي أكدوا على صعوباته بالنظر إلى الظروف التاريخية والثقافية والبشرية التي تعرقل الوصول إليه والعمل على إحيائه، وهو ما دفع بعض النقاد إلى الحديث عن قلة اهتمام المرحوم " أبو القاسم سعد الله"

بحقل التحقيق مقارنة ببقية المجالات الأدبية والفكرية والعلمية والتاريخية (7)، ومقارنة مع جهود مؤرخين جزائريين معاصرين آخرين في تحقيق المخطوطات (8)، صحيح أن " أبو القاسم سعد الله" حقق خلال حياته الفكرية الغنية والصاخبة مخطوطات قليلة في عددها، جلها في تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، لكنها كانت كبيرة في أهميتها وقيمتها، مفيدة في محتواها، وصائبة في أهدافها التراثية، وغنية في مصادرها ومراجعها التاريخية والأدبية وكتب التراجم والرحلات والأنساب والتراجم، وثمينة في منهجها، والأهم أنها مرتبطة بهمومه الحضارية بأبعادها الوطنية والمغاربية والقومية العربية والإسلامية بل والإنسانية عامة، لابأس أحاول هنا التعريف بأشهرها باختصار:

1/ محمد ابن إبراهيم باشا (الأمير مصطفى)، حكاية العشاق في الحب والاشتياق: كتبها بلغة متفصحة، أي تجمع بين العامية والفصحى، وتخضع لتأثيرات تركية وإفرنجية، رغم أنها لغة تناسب القصص الشعبي (9).

2/ عبد الكريم الفكون (شيخ الإسلام)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية: كتاب ألفه صاحبه بهدف النصح العام، لهذا اهتم بالشؤون الداخلية للجزائر في عصره، مركزا على الحياة الاجتماعية في قسنطينة، دون التعرض للحالة العسكرية والسياسية للجزائر الدولية، التي كانت خلالها البحرية الجزائرية تشكل الحدث الدولي فيما أطلق عليه " القرصنة الجزائرية"، ووجد " أبو القاسم سعد الله" في هذا النصح العام بوادر دعوة إصلاحية سلفية كانت ضرورية للخروج بالمسلمين مما هم فيه من الانحطاط الفعلي الذي لا يتلاءم مع مبادئ دينهم الحنيف، ولا ما كانت عليه حالة العالم آنذاك من صراع دولي إمبريالي وموجاته الاستعمارية ضد العالم الإسلامي (10).

3/ أحمد بن عمار المفتي، مختارات مجهولة من الشعر العربي، أحد إسهامات المرحوم - أبو القاسم سعد الله- في الكشف عن حقائق مجهولة في تراث الجزائر، بالتعريف بعلمائها الأجلاء.

4/ أحمد بن أبي عصيدة البجائي (ت: 865 هج)، رسالة الغريب إلى الحبيب: وهي عبارة عن رسالة مطولة في الأدب والرحلة بعث بها المؤلف من الحجاز إلى صديقه " أبو الفضل المشدالي" أواخر القرن 9 هج/ 15 م، وهي رسالة أدبية غنية بالمحسنات البديعية،

تكشف عن بعض الحقائق التاريخية حول عصر المماليك في المشرق العربي، والدولة الحفصية في تونس حتى بجاية (11).

5/ أحمد بن محمد عمر العدواني، تاريخ العدواني: وهو مصدر من المصادر التاريخية الصرفة حول تاريخ الجزائر خلال القرن 11 هج/ 17 م عامة وتاريخ منطقة وادي سوف ونواحيها خاصة، وهو كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية، وصراعها ضد حكام الحفصيين والعثمانيين، مع ذكر أهم الأحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي، وأحوال بعض المدن والقرى، والعلاقات الروحية بين المشرق والمغرب منذ الفتح الإسلامي، كتب بلغة بعيدة عن كل التأثيرات الخارجية أو اللهجات المحلية، التي لم تظهر إلا في ذكر الأعلام، وهي لغة عامية صافية لبني هلال وبني سليم العربيتين (12).

6/ رحلة الأغواطي الحاج بن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية: رحلة جزائري قبائلي في الجنوب، كتبت تلبية لرغبة وتمويل القنصل الأمريكي " هودسن" خلف " شالر" قبيل الغزو الفرنسي للجزائر بين (1825-1829) هدف منها الدبلوماسي تأكيد امتداد اللهجة البربرية الأمازيغية نحو جنوب الجزائر، تغنى كثيرا بمعلوماتها - رغم الكثير من الأخطاء المعرفية- لما تحتويه من معلومات اجتماعية واقتصادية وسلالية، ولم يشر لها الرحالة " ليون الإفريقي" نفسه في رحلته بعنوان: " وصف إفريقيا"، ولهذا سارعت الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس إلى ترجمتها من الإنجليزية إلى الفرنسية(13).

7) التحقيق الأنموذج الذي يهمنا في الموضوع هو: عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري، المسماة: "لسان المقال في النبإ عن النسب والحال"،

* فما هو المنهج المعتمد في تحقيقه؟

*** وما هي أبعاده في ذلك؟**

اعتبر " أبو القاسم سعد الله" تحقيق مخطوط قديم من الناحية المنهجية بمثابة عمل مزدوج فني وهادف في نفس الوقت:

فهو عمل فني لأنه يقوم على قواعد أساسية ويتطلب مهارة وإخلاصا وتجردا من طرف يد مخلصة وقلم شريف، وقلب مليء بحب الإنسانية.

وهو عمل هادف، لأن بعث مخطوط يخدم فكرة، وبالتالي مصلحة وطنية وإنسانية،

والجمع بين الإخلاصين الفني والإنساني جزء من الجهاد التحرري من الاستعمار (14).

وقد اعتمد " أبو القاسم سعد الله" منهجا علميا ثابتا في تحقيق هذه المخطوطات، قوامه الدقة والموضوعية والأمانة العلمية المرتبطة بالتزام الأخلاق وحسن الخطاب، كان يميز فيها من حيث الشكل بين ثلاثة أقسام وهي:

أولا: التقديم يضمنه خمسة عناصر علمية وهي:

1) التعريف بصاحب المخطوط وعصره.
2) دراسة وصفية للنسخ الخطية بوصف طبيعة المخطوط وشكله ولغته وكتابته.
3) التعريف بطريقة وخطوات تحقيقه.
4) الكشف عن البيبليوغرافية المعتمدة في تحقيقه.
5) تبيان قيمة موضوعه الفكرية والتاريخية والحضارية.

2- ثانيا: المتن معززا بهوامش التعليق وهوامش التوثيق

يقدم متن الموضوع معززا بهوامش التعليق وهوامش التوثيق، ووضع الرموز والاختزالات موضحا دور كل رمز على حدة داخل منظومة التحقيق والكشف عن العبارات الغامضة، وتصحيح ما يراه ضروريا دون المس بالمادة الأصلية أو تغييرها أو تحويلها من مواضعها.

3- ثالثا: ثبت الفهارس

يقسمها دائما إلى فهرس أعلام، وآخر للأماكن، وأحيانا يعرض ملحقا للجداول والرسوم، كما يثبت قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في التحقيق، وأخيرا يختم بفهرس الموضوعات.

أما من حيث المضمون، فالتزم – رحمه الله- الأمانة التاريخية والعلمية بقوله:

«... حفظا للأمانة تركنا النص على ما هو عليه... وإذا رأينا أن المعنى سيتوقف على تدخلنا تدخلنا وأشرنا إلى ذلك بأسفل الصفحة...» (15).

وهي طريقة منطقية وسليمة، تعتمد على حفظ الأمانة بترك النص على مضمونه الأصلي، والتهميش له بكل ما يساعد القارئ على الفهم، حيث يركز أساسا على تأكيد أصل الخطأ، هل نتيجة جهل صاحب المخطوط نفسه سواء بقواعد اللغة والإملاء

والصرف؟ أم هو من عمل النساخ؟ وتوصل " أبو القاسم سعد الله" في مجال التحقيق إلى تأكيد مجموعة من الحقائق أهمها:

* ظاهرة كثرة بعض الأخطاء في كتابة بعض الكلمات.

* تعدد النساخ وتداولهم على نسخ عمل واحد، يفسر وجود هذه الأخطاء.

* اتساع الكتابة بأسلوب وصفه بالأسلوب المتفصح، الذي يجمع بين العامية والفصحى، وهو شكل ساد كثيرا في الجزائر خلال القرنين 17 و 18 .

وكشف عن مختلف صعوبات تحقيق المخطوطات، وفي نفس الوقت اجتهد واقترح ثمانية حلول لها تعميما للتجربة وهي كالتالي:

1/ مسألة وجود المخطوط كنص واحد بدون عناوين ولا فقرات ولا فواصل ولا تنقيط، فتدخل – رحمه الله- في تقسيم النص إلى عناوين وفقرات إما على أساس الأحداث أو الأخبار، أو الأفكار، واقترح عناوين مناسبة لكل فكرة يعالجها المخطوط، وسهل قراءتها بوضع النقاط والفواصل، ثم همش لكثير من الأفكار أو المصطلحات الغامضة (16).

2/ مسألة التحقق من وجود عدة نسخ، وضرورة الاطلاع عليها ومقارنتها ، حيث اعتمد في تحقيق " تاريخ العدواني" عشر نسخ، فهذا أفضل من وجود نسخة واحدة من المخطوط كما هو حال " رحلة ابن حمادوش" الموجودة فقط في الخزانة العامة بالرباط (17)، وحال "منشور الهداية" الذي اعتمد على نسخة مصورة عن نسخة الشيخ " المهدي البوعبدلي" ونسخة أخرى مصورة أيضا هي نسخة الشيخ "حبة" (18).

3/ مسألة تعدد موضوعات المخطوط: كثيرا ما اصطدم " أبو القاسم سعد الله" بتعدد موضوعات المخطوط، كما هو الأمر بالنسبة لرحلة ابن حمادوش" التي تفرض على المحقق أن يكون مؤرخا، وفقيها، وعالما في التوحيد ، والرياضيات، والقصص الخرافي، والأسانيد، والتصوف وغيرها (19) .

4/ وواجه مسألة اللغة خاصة العامية التي لا تخضع لضوابط إملائية، أو نحوية، أو صرفية، حيث ركز " أبو القاسم" كثيرا على لغة القرون الحديثة (10+11+12 الهجرية) في الخط المغربي، والخاضعة غالبا للتأثيرات الخارجية المرتبطة باللغة التركية واللغات

الأوروبية، فضلا عن اللهجات البربرية المحلية، ولم يهمل " أبو القاسم سعد الله" بفضل تكوينه الفقهي الإسلامي التدقيق الإملائي عن طريق رسم جداول يحدد فيها موضع الخطأ ويبين صورته الصحيحة حتى يستقيم المعنى (20).

5/ مسألة وجود ألفاظ وعبارات نابية أو غير أخلاقية:

حذف " أبو القاسم سعد الله" بعض العبارات والألفاظ غير المناسبة للذوق والأخلاق النبيلة الراقية- من وجهة نظره- حيث فضل الاستغناء عنها وتعويضها بنقاط بين قوسين، كما نبه إليها في تحقيق تاريخ العدواني بقوله:

« وقد استعملنا هذه الطريقة في مناسبتين فقط الأولى عند ذكر وصف "الكلاب" والثانية عند وصف الخوارج ب: "الرافضة " (21)،

معتقدا أنها نشاز حقا، وقدم تبريرات فقهية وتاريخية وأخلاقية تبرر خطأ الراوي، وتمثل وجهة نظره الخاصة معتبرا إياها خروجا عن الموضوع، وفضل حذفها، متحديا في هذه الحالة الأمانة العلمية للنص، وأنه ليس أبدا من مهام المحقق الدفاع عن جهة معينة أو الوقوف ضد جهة أخرى إذا تعرض صاحب المخطوط إلى مسائل خلافية، بل عليه أن يبقي على أصل النسخة، وهو ما آخذه عليه أحد المزابيين الذي قال:

« أنا مزابي ومع ذلك لا أقر شرعية الحذف الذي لجأ إليه سعد الله» (22).

لكننا نعتقد بسلامة وجهة نظر " أبو القاسم سعد الله" بالنظر إلى حساسية الموضوع وتداعياته الحضارية على المجتمع الجزائري، خاصة وأنه يشير إليه في مقدمة التحقيق.

6/ مسألة وجود أوراق مبعثرة أو ناقصة، أو إضافية، وأحيانا بخط مخالف واجهها بالاستعانة بالأخبار التي تورد ذكر المخطوط المعني، ومقارنة النسخ بعضها ببعض إن توفرت في مخطوط واحد.

7 / مسألة وجود نسخ مبتورة البداية وغالبا الجزء النهائي:

اضطر أمام هذا البتر وخصوصا في الجزء النهائي وهو الأهم إلى الاستعانة بالنصوص المترجمة إلى اللغات الأجنبية لملء الفراغ، كما فعل في تكملة الصفحات الناقصة في المخطوط الأصلي بالعربية من تاريخ العدواني، باستعانته بالنسخة المترجمة للفرنسية للكاتب الفرنسي " جوستان بون" لما يحتويه من معلومات دقيقة تكمل ما جاء في الصفحات الناقصة (23).

8/ مسألة الترجمة في المخطوطات الأصلية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية:

حيث اصطدم " مثلا في ترجمة وتحقيق " رحلة الأغواطي" المترجمة إلى اللغة الإنجليزية من طرف القنصل الأمريكي " هودسن" بالتعابير الصحيحة التي استعملها أصلا "الأغواطي" وترجمها الأمريكي خطأ (24).

وأدرك – رحمه الله - مبكرا ما يمثله المعطى الجزائري من أهمية باعتباره جزء من تاريخ وتراث المغرب العربي الكبير خصوصا، والأمة العربية الإسلامية خاصة، والإنسانية عامة، فأسس- قبل بعض الدراسات المغربية المعاصرة الجادة- (25) لفكرة الإخاء المغربي الجزائري في إطار التعاون والاتحاد والتضامن الشعبي، والتبادل الثقافي بتأكيده على عدم انقطاع تردد علماء الجزائر على المغرب، وعلماء المغرب على الجزائر (26)، لكنه أشار في رحلته المغربية (27) إلى ضرورة تفعيل هذا الإخاء الثقافي الجزائري المغربي، بعدما عاش بكل جوارحه وحدة المغرب العربي، التي ظلت تؤرقه كأخطر همومه الحضارية، متأسفا على ضياع تلك المظاهر الوحدوية سواء في السراء أو حتى الضراء محملا نفسه قبل بقية المثقفين جزءا من مسؤولية عدم المطالبة في إزالة الحدود الاصطناعية الموروثة، وتثبيت عهد الأخوة المطلقة (28).

ولهذا ضحي – رحمه الله- بعشر سنوات من حياته في البحث والتنقيب، لتحقيق هذا المخطوط للمساهمة في إحياء أحد مظاهر التكامل الجزائري المغربي، ممثلا في تحقيق مخطوط " ابن حمادوش" – خاصة في جزئه الذي سماه " أبو القاسم سعد الله": "الرحلة المغربية" (29) الذي يمكن اعتباره مؤلفا هاما من ونادرا من هذا التراث الجزائري المغربي المشترك، والذي يمثل صورة صادقة للإخاء الشعبي الجزائري المغربي، ويوفر مصدرا تاريخيا حول الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وحتى السياسية في مجتمع الجزائر من جهة، والمغرب خاصة مدن تطوان ومكناس وفاس، خلال الفترة الممتدة بين (1156 هج/ 1743 م- 1161 هج/ 1748م)، لأن صاحب هذه الرحلة هو عالم جزائري شعبي عانى ويلات الفقر والحرمان والحيلولة بينه وبين رغبته في مجالس العلم والعلماء، بعدما حرمت الجزائر من منارة علمية تضاهي جامع الأزهر والزيتونة والقيروان تبث العلم وتجيز العلماء والكتاب، وتحفظ اللغة وتربي العقل (30)، وتكون قادرة على توحيد الخط والاتجاه الديني والفكري للإيديولوجية الوطنية، خصوصا وأن

" ابن حمادوش" رفض الانشغال بتقلد مناصب إدارية ولا مناصب دينية كالفتوى والقضاء والتدريس الرسمي، ولم يتقرب إلى الولاة والوزراء ، بقوله في هذا الصدد:
« ...فكان فضل الله علي أني لم أجعل علمي سلما للدنيا، ولم أنل به شيئا، ولم أمدح أحدا لطمع...» (31).

ووجد في الرحلة إلى المغرب – كغيره من الشباب الجزائري المتعطش للعلم والمعرفة إلى الهجرة- متنفسا وملاذا للاسترزاق وطلب العلم ولقاء العلماء، وأخذ الإجازات منهم، بل تبادل الهدايا والأمانات أثناء الزيارات التي لم تتوقف (32)، ومن خلال تتبع رحلته في مدينة تطوان، يكشف لنا عن تنقله بين علمائها وأخذه عنهم، وعدم ترددهم في إجازته، بل السماح له بالتدريس (33)، كما لم يتردد في الإدلاء بآرائه بكل حرية، من خلال مناقشة أحد علماء تطوان الشيخ "سيدي أحمد الورزازي" برفضه القول بأفضلية الملائكة على الرسل (34)، ولا نستغرب أن يكون هذا العالم المغربي هو من سيتوسط له لدى السلطة الجمركية لإعفائه من دفع المكس عند مغادرته المغرب من ميناء تطوان (35)، وهذا أحد الدلائل الكثيرة حول مظاهر الإخاء والتضامن الشعبيين الذي لقيه " ابن حمادوش " في مقامه بتطوان، وبالمقابل وفر ابن حمادوش في متن هذه الرحلة لمؤرخ تطوان المغربي " داود محمد" مصدر تراجم أساسيا لموسوعته (36)، ونفس الترحاب لقيه " ابن حمادوش" عبر طريقه نحو مدينة مكناس، رغم ظروف هذه الرحلة التي تزامنت مع مرحلة الاضطراب والفوضى إلى درجة الحرب الأهلية، نتيجة أزمة القصر العلوي بين أبناء السلطان " مولاي إسماعيل " حول العرش مباشرة بعد وفاته ، والتي لم تخمد نهائيا خلال حكم السلطان " مولاي عبد الله "(1728-1757) (37)، حيث كشف "ابن حمادوش" احترام بعض الثوار الأعراب له وعدم التعرض لقافلته، احتراما لشرفه وحصانته وقوته المعنوية (38) .

ونتيجة قلة إعجابه بعلماء مكناس لم يطل المكوث بها، لتجذبه مدينة فاس عاصمة جامع القرويين وعلمائها، حيث لازم خاصة الشيخ " ابن المبارك" وأخذ عنه، رغم أنه توفي قبل توقيعه على إجازته، فشهد له القاضي " بوخريص" بأحقية الإجازة (39).

نستخلص من تحقيق " أبو القاسم سعد الله" لهذا المخطوط النادر عن الجزائر والمغرب كأول رحلة مغربية مخطوطة من عالم جزائري خلال القرن الثامن عشر الميلادي، تجذر وتواصل روح الاتحاد الثقافي الجزائري المغربي، واعتباره لبنة أساسية

لوحدة المغرب العربي خاصة والأمة العربية الإسلامية عامة، ونعترف بمكانة " المرحوم أبو القاسم سعد الله" في نفض الغبار عن أهم كنوز مخطوطات الجزائر، وتجاوز ما يعرف " التاريخ المشكل" بريادة إحياء مظاهر الإخاء والتكامل بين الشعوب.

الهوامش

1- سعد الله (أبو القاسم)، هموم حضارية، ط: 1، دار الأمة، الجزائر 1993، ص: 15

2- ابن حمادوش (عبد الرزاق الجزائري)، رحلة ابن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبإ عن النسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق سعد الله (أبو القاسم)، ط:خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص: 19.

3- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998، ص: 13.

4- (4) نفسه، ص: 14

5- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج: 2، (1900-1930) ، ط: 3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص: 14

6- نفسه، ص. ص: 77-79

7- شرشار (عبد القادر)، أبو القاسم محققا وناقدا، في الشهاب الثقافي، في 1427/05/03 هج، نقلا عن مجلة النور اللندنية، العدد: 154،موقع الشهاب الإلكتروني ،

8- أمثال: المؤرخ إسماعيل العربي، الشيخ المهدي بوعبدلي، ، والشيخ مدني توفيق، ورابح بونار، والمؤرخ يحيى بوعزيز، وبوعياد محمود، وحاجيات عبد الحميد، وغيرهم...

9- الأمير (مصطفى بن إبراهيم باشا)، حكاية العشاق في الحب والاشتياق، تحقيق أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982

10- الفكون (عبد الكريم شيخ الإسلام)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1987، ص: 9،

11- البجائي (أحمد بن أبي عصيدة)، رسالة الغريب إلى الحبيب، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2000 1

12- العدواني (محمد بن محمد عمر) ، تاريخ العدواني، تحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996، ص. ص 13-15.

13- مجموع رحلات - رحلة الأغواطي الحاج بن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية ، طبعة خاصة، نشر المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص: 96

14- سعد الله(أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول،

15- مرجع سابق، ص. ص: 357-358

16- العدواني (محمد بن محمد عمر) ، مصدر سابق، ص: 27

17- ابن حمادوش (عبد الرزاق الجزائري)، مصدر سابق، ص. ص: 20-21

18- نفسه، ص: 20

19- الفكون (عبد الكريم شيخ الإسلام)، مصدر سابق، ص، 21 ،

20- نفسه، ص. ص: 19-20

21- شرشار (عبد القادر)، مفال سابق،

22- العدواني (محمد بن محمد عمر) ، مصدر سابق ، ص33.

23- شرشار (عبد القادر)، مقال سابق،

24- العدواني (محمد بن محمد عمر) ، مصدر سابق، ص 32

25- مجموع رحلات - رحلة الأغواطي الحاج بن الدين في شمال إفريقيا والسودان والدرعية ، مصدر سابق، ص: 101

26- بوزيان (عمر)، جذور اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، منشورات عكاظ، الرباط 1988، ينظر كذلك: أمطاط (محمد)، الجزائريون في المغرب ما بين (1830-1962)، مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، دار أبي رقراق، الرباط 2008

27- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط: 2 منقحة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 ، ص: 357

28- ------ ----- ---، مجموع رحلات، ط:خاصة، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص. ص: 1-37

29- ---- ------ ----، هموم حضارية، مرجع سابق، ص. ص: 41-43

30- ابن حمادوش (عبد الرزاق الجزائري)، مصدر سابق، ص: 18

31- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، مرجع سابق، ص. ص: 18-19

32- ------ ------ --- ، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري- حياته وآثاره -ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص: 18

33- لم يكشف العالم ابن حمادوش عن الأمانة التي نقلها من الجزائر إلى المغرب لشيخه" امحمد البناني الفاسي" بتطوان تواضعا واحتراما، ينظر عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، مصدر سابق، ص. ص: 32-33

34- نفسه، ص: 35

35- نفسه، ص. ص: 65-67

36- نفسه، ص. ص: 110-114

37- داود (محمد)، تاريخ تطوان، 12 جزء، طبعة جديدة، تصحيح ومراجعة حسناء داود،مؤسسة محمد داود للتاريخ والثقافة، تطوان 2013

38- المشرفي (محمد)، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية،جزءان، دراسة وتحقيق بوهليلة إدريس،، ط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط 2005

39- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، مصدر سابق، ص. ص: 76-77 1

40- نفسه، ص. ص: 85-91[1]